الحياة الاجتماعية في الجنوب الجزائري من خلال رحلة أبي سالم العياشي 1661-1663م

Social life in southern Algeria through the voyage of Abi Salem Al-Ayashi 1661-1663

أ. هشام بهلول[1]، قسم العلوم الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)، hichou84@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/27	تاريخ القبول: 2020/11/29	تاريخ النشر:2021/01/28

الملخص:

تعد كتب الرحلة من المصادر المهمة والثرية بالمعلومات التاريخية، وربما زادها أهمية تنوع المواضيع التي تعالجها من جهة، وندرة المصادر الأرشيفية والمصنفات التاريخية من جهة أخرى. فهي في كثير من الفترات تعد المصادر التاريخية الأكثر صدقا وشمولا، كما هو الحال بالنسبة للفترة العثمانية في الجزائر، سيما في شقها الجنوبي، حيث تطلق على هذه الفترة في عمومها بالمظلمة تاريخيا.

يعالج هذا المقال الأوضاع الاجتماعية لسكان الجنوب الجزائري في الفترة العثمانية، وذلك من خلال مصدر رحلي شهير قد عرف بعدة أسماء كـ: الرحلة العياشية، أو ماء الموائد، ورحلة أبو سالم العياشي. وهو خلاصة أربع رحلات حجة قام بها الرجل سجل آخرها في بدايات النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد، عاين فيها مجتمع الجنوب الجزائري، فعرف تكوينه وعاداته، ونشاطاته الثقافية والاجتماعية، فجاء وصفه دقيقا حيا ينقل لنا صورة هذا المجتمع كما لو أننا نعيش فيه..

كلمات مفتاحية: أبو سالم العياشي ؛ الجنوب الجزائري ؛ العثماني ؛ المجتمع الجزائري .

Abstract:

Journey books are important and rich in historical information, and they may be more important by the diversity of the topics they deal with on the one hand, and the wealth of archival sources and historical works on the other hand. In many periods, they are considered the most sincere and comprehensive historical sources, as is the case for the Ottoman period in Algeria, especially in its southern part, as this period is generally termed historically dark.

This article deals with the social conditions of the inhabitants of southern Algeria during the Ottoman period, through a famous nomadic source that was known by several names such as: The Ayashian journey, or the maa el-maoid, and the trip of Abu Salem al-Ayashi. It is a summary of four pilgrimage trips made by the man, the last of which was recorded in the beginning of the second half of the seventeenth century AD, in which he examined the Algerian society of the south, and knew its composition, customs, and cultural and social activities, so his description came accurate and alive that conveys to us the image of this society as if we were live in now.

Keywords: Abu Salem al-Ayashi; southern Algeria; the Ottoman; Algerian Society

[1] المؤلف المرسل: هشام بهلول، hichou84@gmail.com.

1.مقدمة:

إن الحديث عن مصادر جنوب الجزائر خلال الفترة العثمانية يعد مشكلة حقيقية، حيث تغيب المصادر الأرشيفية التي تغطي هذه المنطقة في هذه الفترة في الكثير من الاوقات. لذلك تعتبر كتب الرحلة الملجأ الموازي لذى الباحثين في تلك الفترة. فهذه رحلة أبو سالم العياشي تنفرد بالحديث عن مواضيع تاريخية تخص صحراء الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، ورغم خصوصية أدب الرحلة فنجدها تحمل لنا في طياتها الكثير من المعلومات التاريخية المصطبغة بالمشاهدة الشخصية للرحالة، فهي مصدر أصلي يغلب عليه معاينة الرحالة لما يكتب حوله.

قدم لنا أبو سالم في رحلة ماء الموائد ل- من بين أبرز الرحلات الحجية المغربية في القرن السابع عشر - وصفا دقيــقا لعناصر المجتمع بالجنوب الجزائري.، ولم يفوت تسجيل ملاحظاته حول العادات المتوارثة لذى بعض سكان المناطق الصحرواية، كما رسم لنا صورة الوضع الصحي والأمني هناك. فكيف أورد لنا أبو سالم العياشي هذه النواحي من الحياة الصحراوية بالجزائر؟ وما هي مصادره؟ وهل يمكن الوثوق في ما نصت عليه رحلته؟.

2.عناصر المجتمع :

يمكن أن نصنف تلك العناصر من حيث نمط العيش إلى عنصرين أساسيين هما : حضر وبدو. ومن حيث النسب أو الإنتماء المذهبي أو النشاط اليومي، فيكون لدينا عدة عناصر أهمها : الأسر الشريفة، المتصوفون والمجاذيب، الفقهاء وطلبة العلم، الإباضيون. فكيف صور لنا أبو سالم العياشي كل مجموعة من هذه المجموعات السكانية؟.

1.2الحضر:

يسكن هؤلاء بالقصور المحاطة بالأسوار، وفي الغالب يمتهنون الزراعة وهذا ما جعل قراهم ومدنهم تتحول إلى أسواق ومراكز تجارية مهمة، ونجد أبا سالم العياشي يقدم لنا أسماء كثيرة للقرى والمدن الصحراوية بجنوب الجزائر، وهي عرضة لإغارة البدو الرحل لذلك نجد أهلها في استعداد دائم لصد تلك الغارات، ويعتبر اختيار الموقع الحصين أو بناء الأسوار حول القرى والمدن عنصرين أساسيين يجب أن يتوفرا في كل مركز حضري لضمان الأمن [1]. مثل قرية القليعة «...**قرية حصينة على حجر صلد في سفح جبل منقطع...**» [2] ، ومدينة ورقلة «...**يحيط بها خندق مملوء بالماء من كل جهاتها لا يصل أحد إلى سورها إلا من ناحية الأبــواب...**»[3]، وبلغ عدد القــرى في رحلة العياشي بجنوب الجزائر إثنين وعشرين قرية. منها ثمانية أطلق عليها اسم "قرى" بينما ذكر أسماء أربع بلدات، وخمس مدن كبرى.

2.2البدو:

يرتحلون من مكان إلى آخر سعيا وراء الماء والمرعى لمواشيهم، يقومون بالصيد وأعمال الإغارة والنهب، كما يعتبرون همزة وصل بين السودان والشمال [4]. وإن كانت الميزة الأساسية لهذا القسم من المجتمع الصحراوي هو الارتحال من مكان إلى آخر فنشاطهم الإقتصادي في الحقيقة يختلف، فلا يمكن بأي حال أن نعتبر كل البدو عبارة عن قطاع طرق، ففيهم من كان يمارس التجارة ناهيك عن الرعي .

كما أنّه هناك من الأعراب من كان متعاونًا مع السلطة المحلية في المدن والقرى الصحراوية، حيث استعملهم أمراء المدن وحكامها في صراعاتهم الداخلية والخارجية على السواء، مثل ما فعل أمير ورقلة في خطته للقضاء على المتآمرين عليه، فاستعان بأعراب نواحي ورقلة في القضاء على كل من يفر خارج سور المدينة [1] . وقد ذكر لنا ابن هطّال مثالاً آخرَ شبيهاً باستعانة المدن الصحراوية بالأعراب لمواجهة الخطر الخارجي، فأخبرنا أنّ سكان الأغواط أخذوا يبعثون لأعراب تلك النواحي للتصدي لحملة باي وهران[2].

3.2 أهم القبائل التي ذكرها أبو سالم :

أورد لنا أبو سالم العياشي معلومات معتبرة عن القبائل التي كانت تعيش بالجنوب الجزائري، فكان كل مرّة يمر فيها بالأعراب يشير إلى قبائلهم والمناطق التي يسكنون بها ولا يفوت ذكر نشاطهم اليومي، فما هي أهم القبائل التي ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته بالجنوب الجزائري، وأين كانت مواطنهم ؟ :

عرب الخنافسة[3] وجدهم في أوقروت، إكترى حجاج الركب دليلاً منهم يدلهم على الطريق المؤدي إلى ورقلة، و**أولاد محمود** هم من توات أيضا، وهم عرب لا إذاية فيهم، و**عرب سعيد** وقد وجدهم أبو سالم العياشي في حالة حرب مع أولاد محمود، **عرب الأرباع** تجار ورقلة، تزامن دُخول قوافلهم إلى ورقلة مع وصول الحجاج [4]. ومن بين القبائل التي ذكرها أبو سالم كذلك **عرب نميلة** كانوا منتجعين في زريبة حامد، ووجد رفقتهم أولاد سيدي المبارك بن ناجي سكان خنقة سيدي ناجي الذين ينتظرون الركب [5]. وبالفعل ففي تلك النواحي مضارب عرب نميلة فلقد انتجعوا كذلك في جنوب زريبة الوادي في المنطقة المسماة بالفيض [6].

أولاد صولة في المنصف بين الزاب وبسكرة وجدهم العياشي في حالة إغارة، و**أولاد نصر بوعكاز** حول بسكرة ذكر العياشي أنهم يمتهنون الإغارة كذلك، واليوسي يذكر في رحلته أنّه نزل بموضع يقال له "غابة ابن علوش" بين سيدي خالد وبسكرة وذلك من أجل أن تحجّ معهم ابنة بوعكاز القاطنين في هذا الموضع[7]، وأولاد صولة وأولاد بوعكاز من الذواودة [8] إحدى بطون رياح الذين استوطنوا بالمنطقة في (ق5ه) [9] . وقد لقي ابن ناصر الدرعي في أوبته من الحج أولاد صولة بين زريبة حامد وسيدي عقبة وعلى عكس أبي سالم عبّر الدرعي عن حسن نيتهم واقبالهم بالترحيب لحجاج الركب [10].

لقد أشار المصعبي في رحلته وهو في طريقه من الأغواط إلى بسكرة إلى هذين القبيلتين –أولاد صولة وأولاد بوعكاز- وتوافق وصفه لهما مع وصف أبي سالم ، حيث وصفهم هو الآخر بالعتو والطغيان [11] .

و**عرب من دمّد**[12] **:** وقد كانوا يتكففون الحجاج في الركب كما ذكر ذلك أبو سالم العياشي، وقد افتروا على الركب وقالوا أنّ فيه وباءً عند سكان الأغواط فمنعوا بذلك الحجاج من دخولها [13]. وكذلك ذكر العياشي فرسان **العمور** الذين أغاروا على قرية "الكراكد" جنوب غرب الأغواط[14].

4.2 الأسر الشريفة :

ذكر أبو سالم العياشي في رحلته جماعات في جنوب الجزائر ركز على نسبها الشريف، فهو عنصر متميز في نظر العياش، وهذا ما جعل تعاطفه يزيد مع هؤلاء ومثال ذلك الأشخاص الذين لقيهم بضواحي بسكرة «**...ولقينا في ذلك اليوم رجالا ونساءً راحلين وعليهم أثر الجوع باد , وفتتوا أكبادنا وهم قوم من الأشراف صح نسبهم واشتهر بين الحاضر والباد من أهل تلك النواحي وأخبرني بصحة نسبهم شيخنا أبو مهدي**[15] **وهو عارف بأخبار البلد وأهلها ...**»[16].

ويبدو أبو سالم العياشي متحرٍ للدقة ومتريث في حكمه على شرف هذه الأسر، فهو لم يصرح بنسبتهم إلى الأشراف إلا بعد أن أخذ الخبر اليقين من أبي مهدي، حيث التقى به العياشي في أول رحلته ولعله أخبره عن صحة نسب هؤلاء الأشراف في ذلك الحين [17]، كما أن شكوكه في صحة نسب بعض الأفراد إلى الأشراف ظلت قائمة حتى زمن تبييضه لهذه الرحلة، حيث ذكر أنه وجد بإحدى القرى غرب مدينة الأغواط «**...رجلان أو ثلاث ... وزعموا أنهم شرفاء...**»[18]. ومما يعبر عن تعاطف العياشي مع الأسر الشريفة ما فعله مع : «**...أولاد سيدي مخلوف فقراء أشراف...** »[19] بحيث وهب لهم فرسه. وبلغه بعدها أنّهم ذبحوها.

5.2الإباضيون :

يصور لنا أبو سالم العياشي هذه الفئة من المجتمع الصحراوي على أنها فئة غريبة، والعياشي كان في أوّج نقمته عليها حيث يصفها "**بالطائفة الملعونة**"[20] ، ويذكر أنهم يوافقون المعتزلة في أكثر آرائهم ، وقدموا لورقلة من جبال ميزاب فسكنوا فيها وعمروها. فمنهم العلماء في مذهبهم هذا، وهم في نظر العياشي جميعا من الروافض، ومع ذلك فهو ليس أول من وصفهم بهذه الأوصاف بل سبقه الإدريسي الدي قال فيهم : «**...و هم وهبية إباضية نُكّار , خوارج في دين الاسلام ...**»[21]، كما أنه ليس آخر من فعل ذلك، حيث قال فيهم ابن الدين :«**...يتفقون في المذهب مع الوهابيين والفرس...و كل هؤلاء الناس معتزلة...**»[22].

و الجدير بالذكر هنا أنّ العياشي وجد رجلا من البصرة جاء زائرا لبلادهم هناك بالمزاب، وقد ترك هذا الموقف غرابة كبيرة في نفس العياشي إذ عنونه بالغريبة وقال فيه : « ...**قبح الزائر والبلد الذي جاء زائرا إليه**... »[23]. وقد كانوا قبل دلك يسكنون ورقلة يمارسون التجارة في بلاد السودان ، فهم تجار أغنياء وذوي حالة اجتماعية ميسورة اشتهروا بضرب التبر في بلدهم [24].

6.2 المتصوفون والمجاذيب:

حضي هذا العنصر من المجتمع في جنوب الجزائر بقدر كبير من اهتمام أبي سـالم العياشي. ولا شك أنّ نزعته الصوفية زادت في حرصه الكبير على تدوين أخبار المتصوفين والمجاذيب[25]. فذكر منهم العياشي الكثير في رحلته في جنوب الجزائر، وأغلبية المتصوفين الذين دكرهم العياشي بجنـوب الجزائر من سكـان المدن والـقرى وفي الواحات والقصور.

فمنهم من هو منقطع للعبادة في زاوية أو مسجد أو خلوة مثل : «**...سيدي عبد الله بن طمطم ...فالرجل من أهل الخير والصلاح...**»[26] وله كرامات كثيرة استقبل الركب بزاويته بقرى الدغامشة، و«...**أخا الشريف المجذوب وهو أفضل من رأيته من المجاذيب...وله حال قوي**»[27] لقيه العياشي في زريبة حامد، و«... **رجل من أهل الخير منفرد في مسجد له بازاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس...**» في مدينة بسكرة .

ومن الأمثلة التي تدل على حرص أبي سالم العياشي على ملاقاة المتصوفين وأهل الصلاح هو وصفه الدقيق لأحوالهم حيث قال: «**...رجل من أهل الأحوال الصالحة مغلوب عليه في أكثر أوقاته تؤثر عنه كرامات , ولقد لقيته بداره يعمل بها بيده ينسج الثياب وأخبرنا أن قوته من كسب يده ...و له أتباع وأصحاب يجتمعون إليه في أوقات للسماع والذكر...** »[28]. فأبو سالم يعتقد في كرامات هؤلاء ويؤمن بها، ومع ذلك يفصل في عرض موقفه مع هذا المتصوف في مسألة رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ويعرضها للمناقشة بأكثر موضوعية وعلمية فيقول :«**...فأنا والحمد لله ممن يعتقد تنزيه ساحة اللائمة الصوفية عن الكـــذب والافتراء ويثق بأقوالهم ويصدق بكراماتهم ويحمل ما**

أشكل على أحسن محامله ولا أطعن فيه بوجه وأسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه ...»[29]، وينقل كل من الدرعي والورثيلاني النص حرفيا من دون أي اعتبار للعامل الزمني، وهذا يدل على أن كليهما كان متفقًا مع العياشي في معتقده.

و من المتصوفين من اشتغل بالتذكير والوعظ والتدريس حيث يذكر العياشي أنه وجد ببسكرة في حجة 1059هـ/1649م «...**رجلا من الصالحين جمع بين العلم والعمل والزهد والورع ... لم ترعيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته...»**[30]. وفي إعتقادي أنّ العياشي بالغ في جعل هذا الرجل أفضل من رآه في حياته، إذ هناك كثير من المتصوفين الذين ذكرهم العياشي في رحلته بنفس الوصف، والجدير بالذكر في هذا الموضع أنّه لا يمكن الفصل بين المتصوفون والفقهاء بحيث كان الرجل الواحد يجمع بين التصوف والفقه، وأبو سالم العياشي كان يشير إلى ذلك كلما أتيحت له فرصة الكلام عن أحدهم .

7.2 طلبة العلم :

صور لنا العياشي هذا العنصر الفعال من عناصر المجتمع في صحراء الجزائر. فكان يذكر في بعض الأحيان تفاصيل وجزئيات حول هذا العنصر مما يــدل على اهتمامه به. والحقيقة أنّ العياشي حاول وصف الجانب الثقافي لجنوب الجزائر من خلال التعرض للمستوى العلمــي لطلبته وفقهائه بوضعهم في الواجهة الثقافية. وربما هذا هو السبب الذي جعله يهتم بوصف الطلبـــة وأخلاقهم وحالتهم وأحيانا مدى اطلاعهم على المؤلفات .

كان طلبة العلم يتمركزون في القرى والمدن، وكان العياشي حريصًا على التعرف بهم، كما حدثت بينه وبينهم عدة مناقشات فقهية، ففي ورقلة أول من إلتقى بأبي سالم العياشي هم الطلبة وقد سألوه كثيرا في مسائل متنوعة [31]، وفي قرية سيدي خالد يوجد طلبة علم بنيت لهم مدرسة , وفي أولاد جلال طلبة يسمون بالمهاجرين وهم في منعة من الأعراب لا يؤدون إليهم إتاوة، وأهل تلك النواحــي يسمون كل من لا يؤدي إليهم إتاوة بالمهاجريــن[32]. وجل أهل عين ماضي من الطلبة وقد أوصى العياشي تلميذه المجيلدي في الرسالة التي وجهها إليه بالاستعداد للإجابة عن أسئلتهم الكثيرة [33]. وهذا ما أكد عليه اليوسي في رحلته مع العلم أنه كان أكثر دقة من أبي سالم العياشي حيث وصف أهل عين ماضي : «...**و أكثرهم طلبة يقرأون القرآن ويرغبون في ملاقاة أهل الصلاح ويسألون عن مسائل في القرءان والتجويد والتفخيم والترقيق وكيفية ذلك**...»[34] فجاء وصفه مطابقا لما قاله العياشي مع الدقة وأكثر تفصيلاً .

3.العادات والتقاليد :

على الرّغم من أنّ ملاحظات أبو سالم العياشي كانت قليلة فيما يخص العادات والتقاليد عند سكان الجنوب الجزائري إلاّ أنها جد مهمّة، بحيث تكشف لنا عن ذهنية المجتمع وخلفيته العقدية كما تكشف لنا أحيانا عن عادات بعض الطوائف الدينية، وكان كلام رحّالتنا حول هذه النقطة بأسلوب مباشر غاية في الوضوح ، ويبدو أنّ العياشي كان مهتمًا كثيرا بجانب العادات والتقاليد فلا يكاد يفوت فرصة للإشارة إلى هذا الجانب المهم من الحياة الإجتماعية لدى سكان الجنوب الجزائري مع أنّه لم يورد لنا إلاّ شذرات متفرقة في صفحات رحلته الضخمة، ومن العادات التي ذكرها لنا العياشي في رحلته :

2.3عادة تطليق النساء في توات :

من العادات الإجتماعية التي أثارت استغراب العياشي في إقليم توات هي تلك المتعلقة بالجانب الأسري وبالضبط في موضوع الطلاق . نقل لنا أبو سالم خبراً كان قد سمعه ممن يثق به من طلبة توات مفادهُ أنّ سكان هذا الإقليم إذا ماإراد أحدهم أن يطلق امرأته بسبب نشوزها أتى بشهود يُشهدهم بأنّه ما طلّقها إلاّ ليؤذيها ويكسر شوكتها، فإذا ما أرادت الزواج مرّة أخرى أتى بالشهود فأظهروا ما أشهدهم عليه، فلا تتزوج أحدا حتى ترجع إليه، و أكّد له طلبة توات أنّ حُكّامهم يحكمون بصحة هذا الحكم، كما أكدّوا له كذلك أنّ هناك من فتاوي الفقهاء ما يجيز هذا الحكم ويفتي بصحته [35].

و الملاحظ أنّ هذا الخبر وقع موقع إستغراب كبير في نفسه إذ عنونه بـ " **غريبة** " ونجد هذا العنوان يتكرر معه في الكثير من المواقف التي تعرض لها في جنوب الجزائر [36]، والتي تبدو بالنسبة إليه من الغرائب التي لم يألفها في بلده وقد يصاحب موقفه منها بعض الاستنكار، كما نلاحظ أيضا أنّ العياشي لم يأخذ هذا الخبر إلا بعد أن تأكد من صحته واطمأن لراويه، فهو حذر في نقله الخبر وهذا ما يبدو واضحا من خلال تأكيده على الثقة التي تربطه بالمصدر، ويبدو أنّ المدّة التي كان يستغرقها تأديب الزوج لزوجته تطول إلى انقضاء العدة أحيانا، بحيث لا يمكن للمرأة أن تتزوج أو أن تخطب قبل انقضائها، وقد يضطر الزوج إلى إظهار الشهود الذين حضروا الطلاق التأديبي إذا أرادت المرأة الزواج من جديد وذلك بعد انقضاء عدتها، وهي فترة طويلة تدل على مدى صرامة الرجل التواتي مع زوجته .

والحقيقة أنّ العياشي استنكر هذا الفعل على أهل توات ومن أفتى لهم بصحته، وجعله يكاتب فيه شيوخه، حيث أورد له أحدهم نازلة مقاربة لما ذهب إليه أهل توات وهي توحي بصحة ما ذهبوا إليه في تطليق النساء بتلك الطريقة، ثم حدث بين أبي سالم وبين شيخه نقاش حول المسألة أقرّ فيها شيخه بصحة ما ذهب إليه أهل توات في مقاربة علمية بين ما اشتملت عليه تلك النازلة والحالة التي وردت عليها هذه المسألة بتوات[37].

4.3عادة رمي ثياب الموتى بورقلة :

عنون أبو سالم خبر هذه العادة كذلك بـ"**غريبة**" وهو عنوان يوحي بالدهشة والاستغراب الكبير الذي لقيه الموقف في نفس العياشي كما سبق وأشرنا، حيث يذكر هذا الرّحالة أنّه وجد عند أحد أبواب مدينة ورقلة وهو يهمّ بالذخول إليها رفقة بقية حجاج الرّكب كمًّا هائلاً من خرق الصوف والكتان وألبسة أكثرها صالح للاستعمال لا قطْع فيها , ويستغرب كثيرا من الذين قاموا برميها فهي ملابس كثيرة جدا من جهة، وهي صالحة للإستعمال من جهة أخرى، ويبقى هذا الموقف الغامض محل إستغراب بالنسبة للعياشي، وكأنّه يطرح سؤال : لماذا ترك الناس الانتفاع بهذه الملابس ورموا بها عند باب المدينة على الرغم من صحتها؟.

ويواصل أبو سالم العياشي الكلام بما سيجيب عن جزء من ذلك السؤال تلقائيا , فهو يذكر سماعه لخبر يفيد أنّ تلك هي ثياب الموتى، ورميها يعتبر عادة من العادات المتوارثة بحيث أنّه من مات رميت ثيابه في ذلك المكان ولا يمسها أحد[38]، ويبدو أنّ العياشي لم ينظر للموقف إلاّ من زاوية العالم الفقيه فهو يذكر أنه لا يعلم صحة هذا الحكم حسب إطلاعه ويختم بكلمة "الله أعلم"، فأين غابت نظرة النقد في أسلوب أبي سالم العياشي وهو الذي عرف بها في أكثر من موقف في رحلته ؟، ويحتمل أن يكون السبب من وراء إلقاء ثياب الموتى عند باب المدينة من أجل أن يأخدها فقراء البلد ومن هم في حاجة إليها[39].

4.4عادات الإباضية في ورقلة :

1.4.4 عادة دينية :

من العادات التي أشار إليها أبو سالم العياشي في رحلته هي تلك المتعلقة بالجانب الديني، ففي ورقلة يذكر أنّه دخل أحد مساجدها ينتظر وقت الصلاة «**...فلما دخل المؤذن كبر في آذانه أربعا أول الآذان وأربعا آخره ...**»[40]، ولقد تعجب العياشي كثيرا من هذا الموقف إذ إنّه كان يعتقد أن القوم من المالكية , والحقيقة أن هذه العادة لم تكن الوحيدة في ذلك المسجد. فلمّا دخل المصلون تبادروا كلهم إلى زوايا المسجد يتيممون، ولقد إستنكر أبو سالم العياشي للمرة الثانيــة فعل هؤلاء القوم، وهذه المرّة سأل أبو سالم عن من يكون هؤلاء ؟ وعرف بعدها أنّهم من الإباضية.

تبين لأبي سالم العياشي أن هؤلاء ينتمون إلى طائفة الإباضية التي توافق المعتزلة في أكثر آرائها، وتصرفاتهم ليست نابعة عن جهل في رأيه وإنما هو ناتج عن اتباعهم لهذا المذهب الإباضي , فالتكبير أربعًا أول الآذان والتيمّمُ حتى من دون عذر في نظر العياشي تكون مما أجازه فقهاء هذا المذهب، لذلك يبدي سخطه الكبير وعدم ارتياحه وهو بين هؤلاء القوم .

2.4.4عادة إجتماعية :

من العادات الإجتماعية التي أشار إليها أبو سالم العياشي في رحلته أثناء مروره بمدينة ورقلة هي تلك المتعلقة بالألقاب، فلقد شدّ انتباهه ما سمعه من الإباضيين وهم يتكلمون عن أشياخهم أو يوردون إحدى فتاويــهم «**...فيقولون نص على هذه المسألة عم داود أو عم إبراهيم...**»[41] . وكأنّ كل هؤلاء من عائلة واحدة، ولقد عنون أبو سالم العياشي هذا الخبر بالغريبة. وهو دليل على أن الخبر وقع في نفسه موقع تعجب، فالموقف غير مألوف في الوسط الإجتماعي الذي عاش فيه العياشي.

3.4.4عادة الكتابة على أسوار المسجد :

يذكر أبو سالم العياشي عند دخوله إلى قبر النبي خالد وجد عادة لمن دخل وزار هذا المسجد فيقول : «**...و غالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه، ويكتب اسمه، و اتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة، وقد دخلته مرارا.... »**[42]، وعلى الرغم من أن أبا سالم العياشي لا يذكر نية من يقوم بكتابة اسمه على جدران هذا المسجد وأساطينه فيمكن أن يكون الغرض من وراءه هو التبرك، وذلك أنّ الحجاج وغيرهم ممن زار هذا المسجد كانوا يزورنه من أجل التبرك .

4.4.4 عادة أهل بوسمغون يوم العيد :

من عادات سكان الجنوب الجزائري التي ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته هي ما تعلق منها بظرفية يوم العيد، حيث إنّه لاحظ أنّ سكان بوسمغون يخرجون صبيحة يوم العيد بحيث يكونون كلهم يحملون السلاح «**...و كان من عادتهم أنهم يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرا كان أو كبيرا, ويبنون في المصلى أحجارا يتخذونها غرضا للرمي بالبنادق ... »**[43]. فلا يبقى منهم من يذكر الله ويستمع لخطبتي العيد إلاّ قليلا منهم .

5.الوضع الصحي:

شغلت ملاحظات أبي سالم العياشي حول الجانب الصحي لسكان الجنوب الجزائري حيزا معتبرا من رحلته، فكان يصف المجاعات والأوبئة التي صادفها في المدن والقرى والواحات، فيقدم أحيانا أرقاما إحصائية لعدد الضحايا واصفا الخراب الذي خلّفه الوباء في تلك المدن والواحات، ويذكر ما تعرض له من معوقات بسبب الأوبئة والمجاعات التي وجدها قد حلّت بتلك المناطق في طريقه على شكل ملاحظات وإشارات مختصرة أحيانا أخرى، فما هي الصورة التي تركها لنا أبو سالم العياشي حول الوضع الصحي بجنوب الجزائر يا ترى؟ .

1.5 نواحي خنقة سيدي ناجي :

مرّ أبو سالم العياشي بسكان "خنقة سيدي ناجي"[44]. فوجدهم تعرضوا للطاعون، وحاول العياشي أن يقدم لنا وصفا لحالهم فوصفهم بالمتحيرين في أمرهم بسبب انتشار الطاعون بنواحي الخنقة، وأقبل أولاد سيدي ناجي على توجيه سؤال إلى أبي سالم العياشي مفاده: هل يجوز لهم الفرار من الوباء وقد خافوا أن يدركهم، وكان نص السؤال يدور حول مسألة الفرار من الوباء «...**هل يسوغ لهم ذلك قبل وصوله إليهم أو لا يسوغ إذا كان القصد الفرار منه ولو لم يطرق البلد**...» [45]. أي أنهم كانوا يسألون عن نازلة حول حكم الفرار من الموت، والحقيقة أن هذه المسألة ليست بالغريبة على المجتمع الجزائري فلقد أوردت فيها الكثير من المناقاشات الفقهية[46].

كان أبو سالم العياشي متريثا في الإجابة على هذا السؤال، فلقد نفى أنّه رأى نصا فقهيا لمن يمنع الفرار من الوباء قبل طروقه للبلد، وأكدّ أن الغاية من تحريم الفرار من الوباء هي البقاء من أجل العناية بالمرضى والقيام على شؤونهم، لكن قبل وصول الوباء إلى البلد فالفرار جائز لا ضرر فيه، ثم إنّ العياشي بعد ذلك رخص لأهل الخنقة الفرار من الوباء في هذه المرة، وعلل سبب ترخيصه بأنّه وقف على ظاهر لفظ الحديث ونص السؤال. وفي المقابل يشير إلى أن هناك من علل حرمة الفرار إذا كان الفارُّ من الوباء عن عدم ثقة بالله. حتى وإن لم يصل الوباء بعد إلى البلد فالفرار منه محرم في هذه الحالة [47].

جاء نص أبي سالم العياشي مصورا لنا حالة الإنزعاج التي لحقت سكان الخنقة بمجرد سماعهم أن الوباء انتشر بالقرب من ديارهم، وهذا يجعلنا نتساءل إذا ما كان قد سبق للمنطقة وتعرضت لموجة من الوباء ؟. فعلى الأرجح أنّ ذلك القلق لم يأتِ من فراغ وإنما قد يكون عن سابق تجربة . كما نلاحظ أن أبا سالم اكتفى بالإجابة عن السؤال الموجه إليه بأسلوب الفقيه، ولقد ركز كل اهتمامه على جواز أم عدم جواز الفرار، وكأنّ الفرار من الوباء هو الحل الوحيد المتاح هنا، وفي الحقيقة إن هذا الموقف من أبي سالم العياشي يجعلنا نتساءل إذا ما كان سكان الخنقة قد عرفوا أي طريقة للإحتراز من الوباء أم لا ؟[48].

2.5 في سيدي عقبة :

إذا كان الوباء قد جعل سكان الخنقة يفكرون في الفرار ففي قبر سيدي عقبة حدث العكس إذ عاق الوباء حجاج الركب عن الدخول إلى هذا القبر ، ومع ذلك فأبو سالم العياشي يذكر أنّه قام بزيارة القبر رفقة بقية الحجاج من الخارج ، وهذا فيه دليل على غلو نزعته الصوفية، وقد قدم وصفا دقيقا للقبر والمسجد المحيط به بناءً على زياراته السابقة ،ثم يذكر أنّ الركب بات بين قبر عقبة بن نافع وبين بسكرة.

3.5 الوضع الصحي في بسكرة وضواحيها :

صور لنا العياشي مدى الحرص الشديد والحيطة التي إتخدها حجاج الركب ، حيث كانوا حذرين من الوباء الذي يبدو أنه إجتاح تلك المناطق كلها، وهذا ما يدل عليه كلام العياشي : «...**و تحققنا الوباء فيه وفي البلاد التي في أطر افه وفي بسكرة ولم نذخل إلى زيارته وبتنا بينه وبين بسكرة... »**[49].

و ما يبرهن أكثر على أنّ الوباء كان منتشرًا بحدة في بسكرة وما يجاورها من قرى فيما ذكره العياشي هو امتناع حجاج الركب من الدخول إلى قرية سيدي عقبة وبسكرة , حيت أبدى العياشي تحسره على عدم تمكنه من زيارة قبر عقبة بن نافع بسبب الوباء، تماما كما يذكر أن الوباء منعهم من الدُّخول إلى مدينة بسكرة فنزلوا بضواحيها،و على الرغم من الحذر الشديد لحجاج الركب من الوباء بهذه المنطقة فلقد أُصيب منهم رجلا وتوفي عند قرية أولاد جلال غرب بسكرة [50].

و العياشي في بعض الأحيان يحاول أن يكون أكثر دقة في وصف الحالة الصحية فيعطينا أرقاما وإحصاءات، لما دخل إلى بسكرة يذكر أنّه لم ير في الشرق أو في الغرب مدينة أحسن منها، ثم يخبرنا أنّه سمع من أحدهم في أوبته من حجته الأولى سنة 1060هـ/1650م خبرًا حول اجتياح الوباء للمنطقة : «...**و كان وباءا مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل لنا نحو من سبعين ألف نفس , وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خاليا... »**[51] . وهذا لا شك رقم مبالغ فيه , إذ كيف لمدينة في صحراء الجزائر مثل مدينة بسكرة أن يبلغ عدد المتوفين بها مثل هذا الرقم ؟، وما ذكر الورثيلاني يؤيد كلام العياشي إذ قال واصفا عدد الموتى: «...**و أما الموتى ففيها العجب العجاب نفعنا الله بهم** ...»[52]، لكن العدد الذي أورده العياشي يبقى غير منطقي.

4.5 في الأغواط :

تعرضت مدينة الأغواط كذلك لموجة الوباء الذي ألمَّ بأهلها وآلمهم في الوقت نفسه، وأبو سالم العياشي يصور لنا الحالة التي كان عليها سكان مدينة الأغواط من خلال موقف طريف حدث لحجاج الركب مع بعض الأعراب، حيث أنّ هؤلاء الأعراب قدموا خبرا كاذبا لسكان مدينة الأغواط مفاده أنّ حجاج الركب فيهم مصابون بالطاعون، فمُنع حجاج الركب من دخول المدينة، وفي هذا الصدد يورد لنا العياشي نصا مهما عن الأساليب المتبعة للاحتراز من الطاعون في هذه المدينة فيقول : «...**و كانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريَّال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل...»**[53] ، وهذا يدل على نباهة وحرص سكان الأغواط الشديدين واحترازهم من الوباء، كما يدل على أن الوباء أضر بهم كثيرا مما جعلهم يتخذون مثل هذه الإجراءات الصارمة من أجل الحماية، فزيادة على امتناعهم عن مخالطة حجاج الركب والاحتكاك بهم فهم يستعملون الدلو والحبل من فوق أسوار المدينة ثم يغسلون النقود جيدًا لتفادي انتقال العدوى.

6. الوضع الأمني :

لقد اهتم أبو سالم العياشي بوصف الوضع الأمني في رحلته، حيث نجده دائما يركز على ذكر أخبار قطاع الطرق ومضاربهم، والأماكن الأكثر تواجد لهم فيها، بل تعدى الوصف الخارجي إلى وصف مشاعر الخوف والرعب التي تنتاب الحجيج من وقت إلى آخر عند سماعهم بأن الطريق غير آمن، أو أن هناك من الأعراب من يتربص بهم في إحدى المعابر، ولطالما أورد لنا صاحب الرحلة أمثلة على ذلك، ولم يتوقف وصف العياشي للطرق والمناطق غير الآمنة فقط، بل حتى إذا

كانت مناطق وطرق آمنة فهو لا يفوت الإشارة إلى ذلك، ويعرب عن ارتياحه النفسي وربما استغرب أحيانا خلو بعض الطرق والمناطق من قطاع الطرق والإغارة.

1.6 في وادي جير:

و هو وادٍ ينحدر من جبال الأطلس (جبل تاندرارة) ويجري نحو الجنوب إلى أن يتصل بوادي مسعود (وادي الساورة) [54]، بلغه العياشي في رابع يومٍ من ارتحاله من سجلماسة الأحد 10 ربيع الثاني 1072هـ/11-11-1661م، ووصفه العياشي بأنه لم يكن من المناطق الآمنة " ...**فهو من أطول أودية المغرب مسافة, و أقلها فائدة و أكثرها مخافة إلا أنه في وقت مرورنا به في غاية العافية , قد وجدنا به أفراسا مهملة ليس معها أحد ولا يقدر إنسان أن يقربها لمبالغة الأمير في التنقيب عن لصوص تلك البلاد...**"[55]، والواضح هنا أن رحّالتنا أبدى قلقه وتخوفه من هذا الوادي، وما قد يصادفه فيه من ظلم وإغارة اللصوص وقطاع الطرق، لكن موقف العياشي سرعان ما تغير، فبعد مرور الركب واجتيازه لهذا الوادي يخبرنا أنه وجد الوادي في تمام العافية، فلا قطاع طرق ولا أي خطر آخر هدد حجاج الركب أثناء مرورهم به.

أكثر من ذلك أنهم وجدوا مجموعة من الخيول البرية سارحة لوحدها، وحتى مع أنها مهملة لم يُقبِل أحد على الاقتراب منها ولا أخذها، والسبب الذي علل به العياشي هذا الموقف أن حاكم تلك المنطقة كان يبالغ في التنقيب عن اللصوص وينزل بهم أشد العقاب، لذلك لم يتجرأ أحد منهم ولا من سكان تلك البلاد على أخذ الأفراس أو حتى الإقتراب منها[56].

2.6 في وادي ايمقيدن :

يقع وادي ايمقيدن في إقليم توات، وهو على الطريق الرابط بين أوقروت والقليعة، ولقد ذكر العياشي أنه كان معجبًا بكثرة مياهه وعذوبتها، «...**إلا أننا وجدنا غالب المناهل قد دفنها أولاد محمود عرب توات، خائفين من عدوهم من سعيد أن يغيروا عليهم**... »[57]. وهذا دليل واضح على أن تلك المنطقة لم تكن آمنة وإنما كانت محل نزاعات وإغارات متكررة من طرف الأعراب على السكان المحليين.

3.6 بعد تجاوز ماء زيرارة :

لم تخلُ طريق الحج من قطاع الطرق واللصوص , ولقد كان موقف تعرض اللصوص للركب في الحسبان دائما، لذلك نجد أبا سالم العياشي حريصًا على تسجيل كل صغيرة وكبيرة لها علاقة بأمن الطرقات، وهذا واضح من خلال الخبر الذي أورده بعد مرور الركب بماء زيرارة[58]، فلقد إرتعب الحجاج وحَصَلَ نوع من الروعة والخوف لديهم بعد أن سمعوا أن هناك من الأعراب من يريدون الإغارة عليهم، فتهيأ أهل الركب للقتال وأعدوا العدة لذلك، وأخرجوا آلة الحرب على حد تعبير أبي سالم العياشي، لكن تبين في الأخير أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة، فلم يلقوا أحدا من الأعراب في طريقهم وكان الخبر كاذبا [59] .

وبعد هذا الخبر المرعب يواصل العياشي حديثه ففي اليوم الثاني بلغ الركب ماء يسمى "ولت دغير"، يصفه العياشي لنا بأنه بئر في بسيط من الأرض بين جبلين، والعمارة في هذا البسيط متصلة لا تكاد تخلو منطقة منها من الأعراب، ويبدو أن رحالتنا قد اطمئن لهؤلاء الأعراب حيث يخبرنا أنه لا إذاية فيهم ووصفهم بأهل العافية [60].

4.6 في طريق العودة :

أورد لنا أبو سالم العياشي أوصافا لمواقف عديدة حول الوضع الأمني في طريق عودته، حيث ذكر كثيرًا من أخبار الإغارة التي كان يمارسها أعراب تلك المناطق، وصوّر الجزء المتعلق بطريق العودة على أنّه غير آمن لا تكاد تخلو مرحلة منه من قطاع الطرق واللصوص، كما صوّر لنا حالة الرّعب والخوف الشديدين اللّتان كانتا تنتابان الحجّاج لمجرد سماعهم لخبر تواجد قطاع الطرق في موضع ما في طريق الركب، وقد يذهب بهم الأمر أحيانا إلى عقد العزم على الرجوع إلى مدن بعيدة جدا، مثل ما حدث في أولاد جلال غرب بسكرة فوصف العياشي حالة الرعب الشديدة لحجاج الركب فقال: «**...واشتد الخوف على الحجاج وقوي العزم من جماعة أهل الركب على الرحوع إلى بلاد ريغ ...**»[61].

وعلى العموم إن طريق العودة الذي سلكه أبو سالم العياشي في رحلته كان يعج بقطاع الطرق من أعراب تلك المناطق، فأعراب أولاد صولة في المنصف والزاب «**...و وجدنا المنصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم وكانوا أغاروا على نزلة لبعض الأشراف ...**»[62]. وأعراب نصر بوعكاز نشروا الرعب في نفوس الحجاج وأهالي بسكرة والواحات والقرى المحيطة بها حيث قال العياشي فيهم : «**...و خوف البلد من عرب أولاد نصر ابن بوعكاز وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب فلم تسرح للركب سارحة...**»[63] , وأما بعد خروج الركب من بسكرة فنجده يسرع خشية لحاق هؤلاء الأعراب به حيث وصف ذلك العياشي «**...و كان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة الزاب يوم الخميس وسرنا على غاية من الوجل من أعراب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم ...**»[64]،و لم يتغير نشاط هذه القبائل البدوية المتمثل في أعمال النهب والإغارة حتى زمن مرور المصعبي عليهم في رحلته المنظومة إلى الحجاز حيث وصفهم وهو يشكر أمير الركب على سهره وحمايته لحجاج الركب من قطاع الطرق :

« كأولاد عكاز وأولاد صولة وغيرهم من كل طاغ معاديا»[65].

الجدير بالذكر أنّ قطاع الطرق من أعراب المناطق المحيطة "بأولاد جلال " و " سيدي خالد" كانوا يمثلون قوات كبيرة لا يستهان بها وقد لاحظ ذلك أبو سالم العياشي ففي موضع يسمى "الدويسة " قرب قرية "أولاد جلال" الواقعة هي الأخرى جنوب غرب بسكرة يقول العياشي :«**...و هناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخذه معهم نحو من ثلاثمائة فارس وأنهم ارتحلوا بحللهم ونزلوا بأعلى واد سيدي خالد على حافتي الطريق... »**[66]، فهذا عدد كبير من الفرسان بعدتهم، وهم يسيرون وفق خطة للإغارة، بحيث عسكروا على حافة الطريق ينتظرون قدوم الركب ليقضوا عليه .

و إذا كان الخوف من الأعراب سببًا في تعجيل المسير والقصد في المشي لحجاج الركب، فأحيانا يكون سببا في اختيار ظلمة الليل لشق الطريق كذلك، وهذا ما يصفه أبو سالم العياشي بعد تيقن حجاج الركب من تعسكر الأعراب قرب "سيدي خالد " ينتظرون قدومهم ليغيروا عليهم : «**...و تنكبنا المحل الذي فيه أولئك المحاربون وارتحلنا نصف الليل عند قرب مغيب القمر وسرنا بقية ليلنا في أرض حرشة وظلمة وخوف شديد لا تسمع إلا همسا بأخفاف الإبل ...**»[67]، وقد اختار حجاج الركب السفر في الليل بعد أن اضطروا إلى ذلك، وعلى الرغم من المصاعب والمخاطر الكثيرة التي يتعرض لها المسافر في الليل إلا أنّها تبقى أحسن وأأمن في هذا الموضع.

كان أبو سالم العياشي مهتماً جداً بالوضع الأمني في طريق الحج باعتباره يهم سلامتـــه وسلامة بقية حجاج الركب، كما جاءت ملاحظاته دقيقة جدا ومعبرة عن الحال التي كان عليها كل من الحاج وقاطع الطريق، وتكمن تلك الدقة في كونه كان عارفا بأسماء الأعراب وقبائلهم ومواطن انتجاعهم، وهو فوق ذلك يذكر خبر إغارة أعراب من جنوب

المغرب الأقصى على قرى بجنوب الجزائر من دون أي تحفظ فيقول : «...**و هناك وجدنا...طائفة من عرب مولاي محمد رحمه الله أغارت على العرب الدين بأحواز الكراكد....**»[68]، ثم إن العياشي لما بلغ تلك القرية ذكر لنا خبرًا آخر متعلقاً بالإغارة كذلك لكنه حدث قبل وصوله وهذه ميزة في منهج العياشي في رحلته حيث كان دائما يهتم بأخبار الماضي خاصة القريب، فقال : «... **بلغنا قرية الكراكد...و أغارت عليهم خيل من خيول العمور بالأمس فأخذت لهم غنما بقيت لهم وقد كانوا أغارعليهم عرب الشريف مولاي محمد رحمه الله صاحب تافلالت...**»[69].

وفي أحواز الأغواط هناك قرية وصفهم العياشي في رسالته لتلميذه بأنهم قوم سوء، حيث قال فيهم : «...**و أهلها قوم سوء فاحذروا السرقة منهم ...**»[70]، وهذا ما يوافق ما قاله فيهم الحسن اليوسي في رحلته حيث وصفهم هو الآخر بالسرقة[71]، إلا أنّ الدرعي وجدهم قد أعلنوا توبتهم وزعموا أنّهم لن يرجعوا للسرقة مرّة ثانية [72]، وكانت الأغواط كذلك عرضة لغارات الأعراب، وقد اضطر أهلها إلى الفرار منها خوفا منهم وهذا ما وصفه العياشي في قوله : «...**و وجدنا عرب الأغواط الغربية قد فروا أمامنا من العمور ...**»[73]، الملاحظ على ما أورده أبو سالم العياشي في وصفه للجانب الأمني بطريق العودة أنه يتفق من حيث وصف حالة الاضطراب والأغارات المتكررة للأعراب مع عدة رحالّة على اختلاف زمن رحلاتهم .

7.خاتمة:

جمعت رحلة أبو سالم العياشي بين بداعة الأسلوب ودقة الوصف وتنوع المواضيع المعالجة. فعالج فيها كل ما رآه لدى المجتمع جنوب الجزائر. فجاء وصفه دقيقا للقبائل والمتصوفة والمجاذيب وطلبة العلم و الشيوخ وغيرهم من فئات المجتمع المتنوعة، وحرص على ذكر أدق التفاصيل كعاداتهم في الصلاة وأيام العيد وغيرها من المناسبات. وكان يملك نظرة الناقد الذي لا يقبل كل ما يروى، فرغم حرصه على ملاقاة المتصوفة وزيارة قبورهم إلا أنه لم يكن يؤمن ببعض ما روي له عن الخوارق المزعومة. كما حدثنا عن الوضع الصحي لأغلبية المدن والقرى التي زارها، فأبدع في تقدم ذلك الوصف، وتميز أسلوبه بالدقة والبساطة سواء في وصفه لطريق الذهاب أو العودة من الحج.

نقل لنا أبو سالم العياشي بعض الاضرابات التي مست المجتمعات الصحراوية جنوب الجزائر، فتحدث عن السرقة وما يتبعها من مضاعفات سلبية على قافلة الحج، كما عرج على النازاعات الحاصلة بين بعض القبائل وتأثيرها السلبي على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمدن والارياف. بل وعلى الوضع الامني لطرق التجارة والحج الممتد من فقيق إلى توزر، ومن الريصاني لى توات مرورا بالقليعة إلى الزرايب فتوزر. والحق أن دقة العياشي في الوصف وتشديده على النقد جعل من كتابه مصدرا تاريخيا قويا يعول عليه.

8.الهوامش (الإحالات):

[1] بالحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني,ش.و.ن.ت, 1979,الجزائر , ص27.

[2] العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) , الرحلة العيّاشية , تح.سعيد الفاضلي وسليمان القرشي , دار السويدي ,ط.1 , 2006م, أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة , ج.1 , ص111.

[3] المصدر نفسه , ج.1 , ص 117.

[4] بالحميسي , الجزائر من خلال رحلات المغاربة , ص27.

[1] الرحلة العياشية , ج.1 , ص115.

[2] ابن هطال (أحمد التلمساني) , رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى جنوب الصحراء الجزائري , تح:محمد بن عبد الكريم, عالم الكتب , 1969م , القاهرة-مصر., ص54.

[3] تقع قصورهم في أقصى جنوب اقليم تنجورارين (القورارة) وتتكون من ستة قصور . انظر: فرح محمود فرح , إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الملاذيين (دراسة لأوضاع الإقليم السياسية الإجتماعية الإقتصادية والثقافية) , د.م.ج , 2007م , ج.ع.ث.ع, الجزائر , ص156.

[4] الرحلة العياشية , ج.1 , ص 107 , 114 .

[5] المصدر نفسه , ج.2 , ص537.

[6] محمد العدواني , تاريخ العدواني , تح.ابو القاسم سعد الله , دار الغرب , بيروت-لبنان , ط.1 , 1996م , ص296.

[7] اليوسي (الحسن) , رحلة اليوسي , مخ : نسخة ميكرو فيلم , توجد بالخزانة الملكية بالرباط ., و9.

[8] العدواني , المصدر السابق, ص335 . محمد خير الدين , مذكرات , م.و.ك , الجزائر , د.ط , د.ت , ج.1 , ص42-49. جميلة معاشي , المرجع السابق , ص84.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون , رحلة ابن خلدون , تح.محمد بن تاويت الطنجي , دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان , ط.1 , 1425ه/2004م , ص 13 , 95 , 122.

[10] ابن ناصر الدرعي, الرحلة الناصرية , 1902م ,ط.ح , فاس , ج.2 , ص179-180.

[11] المصعبي , ابراهيم بن بحمان المصعبي , رحلة المصعبي , تح.يحي بن بهون حاج أمحمد , م.و.ل.م , الجزائر , ط.ج.ع.ث.ع , 2007 , ص75.

[12] وردت في رحلة العياشي "دمك" بتحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي , وأوردها مولاي بالحميسي في نشره لنص الرحلة " دمر" ولم يشر كل هؤلاء الباحثين إلى أي اللفظتين أصح في الهامش , واليوسي في رحلته "دمّد" وكذلك المصعبي , أمّا الناصري فذكرها "دمت" , وقال محقق رحلة المصعبي : لعلها قرية بنواحي الجلفة حاضرة إلى اليوم 300 كلم جنوب الجزائر العاصمة. انظر : الرحلة العياشية , ج.2 , ص546 . اليوسي , المصدر السابق , و8 . الدرعي, المصدر السابق , ج.1 , ص33 . المصعبي (ابراهيم بن بحمان) , رحلة المصعبي , تح.يحي بن بهون حاج أمحمد , ج.ع.ث.ع , طبعة خاصة, 2007 م , الجزائر , ص75. الجزائر من خلال رحلات المغاربة ,المرجع السابق , ص107.

[13] الرحلة العياشية , ج.2 , ص546.

[14] المصدر نفسه , ج.2 , ص548.

[15] هو أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري (1020-1080ه/1611-1669م) , فقيه محدث من كبار فقهاء المالكية , من زواوة جنوب شرق مدينة الجزائر , شيخ العياشي , لديه عدة مؤلفات أهمها "كنز الرواة المجموع في در المجاز ويواقيت المسموع " . انظر : عادل نويهض , معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث , مؤسسة نويهض للثقافة , بيروت-لبنان , ط.2 , 1400ه/1980م , ص 91.

[16] الرحلة العياشية , ج.2 , ص539.

[17] العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) , إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر , تحقيق نفيسة الذهبي,مطبعة النجاح الجديدة, 1996 , ط.1 , الرباط , ص132.

[18] الرحلة العياشية , ج.2 , ص 547.

[19] المصدر نفسه , ج.2 , ص 545.

[20] المصدر نفسه , ج.1 , ص117.

[21] الشريف الادريسي, المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس : مأخودة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, مطبعة بريل , ليدن-هولندا, 1893م, ص121.

[22] سعد الله أبو القاسم , أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر , م.و.ط.ك , 1986م , الجزائر . , ج.2 , ص254.

[23] الرحلة العياشية , ج.1 , ص 116-117.

[24] الادريسي , المصدر السابق , ص121.

[25] المجذوب هو لقب صوفي يطلق على : من اصطنعه الحق تعالى لنفسه , واصطفاه لحضرة أنسه وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به في جميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمناصب . انظر : أنور فؤاد أبي حازم , معجم المصطلحات الصوفية مستخرج من أمهات الكتب الينبوعية , مر.جورج ميتري عبد المسيح , مكتبة ناشرون , لبنان , ط.1 , 1993 , ص 155.

[26] الرحلة العياشية , ج.1 , ص80.

[27] المصدر نفسه, ج.2 , ص537.

[28] المصدر نفسه , ج.2 , 541.

[29] المصدر نفسه , ص542 . الدرعي , المصدر السابق , ص 39 . , الورثيلاني (الحسين) , نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار , تق : محمد ابن ابي شنب , دار الكتاب العربي , 1974م, الجزائر.ص91

[30] الرحلة العياشية , ج.2 , ص540.

[31] المصدر نفسه , ج.1 , ص120.

[32] المصدر نفسه , ج.2 , ص542 , 545.

[33] العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) , رسالة إلى أبي العباس المجيلدي , ط.ح .

[34] اليوسي , المصدر السابق , و6 .

[35] الرحلة العياشية , ج.1 , ص84.

[36] يلاحظ أن طريق الذهاب الذي سلكه أبو سالم العياشي في رحلته كان أكثر احتواءًا للغرائب , حيث نجد خمسة مواقف حدثت لأبي سالم العياشي عنونها "بالغريبة " في طريق ذهابه , وفي المقابل يورد لنا موقفًا واحدًا حمل عنوان " غريبة " في طريق عودته .

[37] الرحلة العياشية , ج.1 , ص85.

[38] المصدر نفسه , ج.1 , ص118.

[39] سعد زغلول عبد الحميد وآخرون , ماء الموائد العياشي الرحلة لبيا وطرابلس وبرقة, منشأة المعارف ,ط.1 , 1996 , الإسكندرية-مصر, ص34.

[40] المصدر نفسه , ج1 , ص116.

[41] الرحلة العياشية , ج1 , ص 116.

[42] المصدر نفسه , ج.2 , ص 539.

[43] المصدر نفسه , ج.2 , ص549.

[44] هو اسم الخنقة التي تأسست على يد "سيدي المبارك" مع بدايات القرن الحادي عشر للهجرة , حيث سمها على اسم جده الأول "سيدي ناجي " تبركا به وبنسبه الذي ينتهي إلى " الخليفة عثمان بن عفان " , توفي " سيدي المبارك" في 1031ه/1622م وترك إبنه أحمد خليفة له على الخنقة سار على نهج أبيه , واستعانت بأشياخ الخنقة السلطة العثمانية , انظر : بن حسين كريمة , خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني , ظمن أعمال : في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602-2002م للجمعية الناصرية , دار الهدى , عين مليلة , الجزائر, ص 54-57.

[45] الرحلة العياشية , ج.2 , ص538.

[46] حمدان خوجة , إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء , تح.محمد بن عبد الكريم , ج.ع.ث.ع , الجزائر , طبعة خاصة , 2007ه , ص81.

[47] المصدر نفسه , ج2 , ص 538.

[48] هناك الكثير من الآراء الفقهية حول جواز الوقاية من الأوبئة والطواعين , ووضع حمدان خوجة في كتابه المعروف "اتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء" بابا في جواز الاحتراز من الوباء , لمزيد من التفاصيل حول تلك الآراء انظر : حمدان خوجة , المرجع السابق , ص115.

[49] الرحلة العياشية , ج.2 , ص539.

[50] الرحلة العياشية , ج.2 , ص545 , 539.

[51] المصدر نفسه , ج.2 , ص540.

[52] الورثيلاني , المصدر السابق , ص 87.

[53] الرحلة العياشية , ج.2 , ص546.

[54] بالحميسي , الجزائر من خلال رحلات المغاربة , ص66.

[55] الرحلة العياشية , ج1 , ص76.

[56] *Brihmat (A) , Draa à Ouargla (du) Itinéraire de Abou-Salim El-Aïachi ,R.I, 1899, N°.40, L.A, T.IV, Paris-France, p35.*

[57] الرحلة العياشية , ج1 , ص 107.

[58] ماء زيرارة : بئر طويل جدا متوحد في بسيط من الأرض بين جبلين , أحدهما من رمل , وماؤها حلو جدا , وفيه يقول أعراب ذلك البلد : ما أحلى ماءك وما أبعده يا زيرارة : انظر : الرحلة العياشية , ج1 , ص112.

[59] *Brihmat (A) , Op . Cit , p36.*

[60] الرحلة العياشية , ج1 , ص 112.

[61] الرحلة العياشية , مصدر سابق , ج.2 , ص 544.

[62] المصدر نفسه , ج.2 , ص538-539.

[63] المصدر نفسه , ج.2 , ص539.

[64] المصدر نفسه , ج.2 , ص 542.

[65] المصعبي , المصدر السابق , ص 75.

[66] الرحلة العياشية , ج.1 , ص 544.

[67] المصدر نفسه , ج.2 , ص545.

[68] المصدر نفسه , ج.2 , ص548.

[69] الرحلة العياشية , ج.2 , ص548.

[70] العياشي , رسالة إلى أبي العباس المجيلدي , ص307.

[71] اليوسي , المصدر لسابق , و8.

[72] الدرعي , المصدر السابق , ج.1 , ص33.

[73] الرحلة العياشية , ج.2 , ص548.